القيم في ديوان الطفل في الجزائر
(دراسة لبعض النماذج الشعرية)

د .بشي عجناك يمينة

جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله

ملخص:

أبرز القضايا و الاشكاليات التي سيعالجها هذا المقال تتلخص فيما يلي:

- هل هناك عناية جادة لكتابة أدب الطفل في الجزائر يحمل قيما لتنشئته تنشئة ثقافية أصيلة؟ وما هي مصادر أدب الطفل في الجزائر، و هل هي مناسبة لطبيعة الطفل الجزائري و لبيئته ؟ وهل نجاح الطفل في المستقبل مرهون بعناية الكتّاب بأدب الطفل و ثقافته ؟ وماهي طبيعة القيم الفكرية و الفنية في التجربة الشعرية الجزائرية الموّجهة للطفل في الجزائر قبل و بعد الاستقلال؟ وإلى أي مدى أسهم الشعراء الجزائريون في تنشئة الطفل الجزائري تنشئة ثقافية أصلية من خلال تجاربهم الابداعية، وذلك من خلال دراسة لبعض النماذج الشعرية .

Abstract:

Is there any serious attention to write authentic child's literature in Algeria carrying valuable cultural upbringing? What are the sources of children's literature in Algeria, and whether this is appropriate to the nature of the Algerian child and his environment? Does the success of the child in the future depend on the interest of writers in children's literature and culture? What is the most prominent issues and problems to be discussed by this article are summarized as follows the nature of the intellectual and artistic values in the Algerian poetic experience-oriented child in Algeria before and after independence? To what extent have Algerian poets participated in providing an authentic Algerian cultural upbringing to the Algerian child through creative experiences, and through the study of some poetic samples?

تمهيد :معايير الكتابة للطفل

معايير التي ينبغي توافرها في شعر الأطفال ليس المهم أن نقدم للأطفال شعرا، أي شعر، ولكن المهم أن نجعلهم يحسون ، ويعيشون تجربتها، ويحبونها ويشعرون حين يقرأونها ويسمعونها بالسعادة والفرح،ولبلوغ هذا وجب على شاعر الأطفال أن يلتزم بعدة معايير ينبغي توفرها في الشعر الذي سيقدمه للأطفال، فلهذا تعد الكتابة للأطفال تحديا كبيرا في عالم الإبداع، فمن بين المعايير التي يجب توافرها أن يحدد شاعر الأطفال أولا الهدف الذي يسعى إلى تحقيقه من وراء نظم أنشودة ما، ولهذا وجب أن يراعي مستوى الطفل اللغوي فيختار الألفاظ والعبارات المناسبة لسنه وقدراته الفكرية فيتمكن من إدراكها وفهم معانيها والإيحاءات التي تنطوي تحتها، كما ينبغي أن تكون لغته شاعرية ممتعة، كذلك اللجوء إلى" تكرار بعض الألفاظ والمقاطع، فهذا من الأمور المستحبة والمطلوبة، لأن التكرار يسهل على الطفل حفظ الشعر أو الأغنية ويعطيه الفرصة لفهم المعاني **(1)**"وبالتالي يستطيع أن يدرك هدفها والمقصود منها، فيستفيد منها، وهذا يساهم في بناء شخصيته، إذ أن الشعر يعمل على" تربيتهم التربية المتكاملة فهو يزودهم بالحقائق والمفاهيم والمعلومات، و يمدهم بالألفاظ والتراكيب التي تنمي ثروتهم اللغوية، وتساعدهم على استخدام اللغة استخداما سليما...فيمكننا استغلاله كوسيلة تربوية لتنمية الميول اللغوية لدى الأطفال وكذلك لغرس القيم التربوية الإيجابية دون إشعارهم بأنها مفروضة عليهم .**(2)**"ومنها نجعل الشعر وسيلة لإكساب الطفل اللغة وتعليمه إياها.وللموسيقى أهمية كبيرة عند الأطفال لهذا وجب على الشاعر أن يهتم بهذا الجانب،فتكون موسيقى شعره جميلة واضحة ورنانة، كما يجب أن تكون هادفة وناعمة توحي بمعان تتجاوز المعنى الذي تدل عليه الألفاظ شرط أن تكون ملائمة لمستواه الإدراكي.

رغم أن الطفل كثير الخيال، فهو يحلق في الخيال، متجاوزا بذلك الزمان والمكان عبر الماضي وعبر المستقبل، فهو يدرك كل ما يحيط به بخياله، إلا أنه محدود يدرك المحسوس ولا يدرك

المجرد، ولذلك على الشاعر أن لا يغرق في الخيال ويبتعد عن الواقع الذي يدركه الطفل ويراه. كما أن للجانب النفسي أهميته لدى الطفل، ولهذا على الشاعر أن يتجنب كل مايؤذي نفسية الصغير ويكون هذا بالابتعاد عن ذكر الانفعالات الحادة كالحزن واليأس والعنف وكل ما يمكن أن يسبب له الخوف ، لأن هذه المرحلة لها أثر فعال في تكوين شخصية الأطفال.

لاشك أن الطفولة عالم شفاف، تتشكل مفرداته من البراءة والنقاء والبهجة والأحلام،ويحتاج الطفل دائما إلى التوعية والنصح والتعليم وهو ما تطمح و ما تطمح له الأسرة والمؤسسات التربوية، وقد التفت المربون إلى ما يمثله الأدب في نفوس الأطفال خاصة الشعر لما يمتازبه من إيقاع موسيقي وخيال ساحر...و "لأن الأطفال ميالون إلى الايقاع لأنه يعتمد على يقظة الاحساس و نشاط الشعور...ولا يجد الايقاع في الشعر وحده بل يجده في الموسيقى ، لكن ما يميز الايقاع في الشعر هو التركيز كما يستمد الشعر إيقاعاته من أوزانه و قوافيه و كلماته ، لذا ترى الأطفال يستطيعون ترديد الكلمات الموقعة ، و يصل الأمر بهم إلى تكرار أنغام من الشعر لا يفهمون له معنى .. **(3)** " و شعر الأطفال بالإضافة إلى أنه يلبي جانبا من حاجاتهم الجسمية و العاطفية ، فهو يسهم في نموهم العقلي و الأدبي و النفسي و الاجتماعي و الأخلاقي .." **(4)** ، فتوجه الشعراء بخطابهم الشعري إلى الطفل هادفين بذلك إلى تربيتهم وتعليمهم وغرس روح القيم النبيلة في نفس الطفل، وهذا يستدعي منا العمَل على وضع الأسس اللازمة لتنشئة وتكوين طفل يملك قدرات تخوِّله لأن يَكون هذه الثروةَ ، وإذا كانت القيم الأخلاقية والتربوية هي أول ما يجب غرسه في هذا الطفل، فإنه إلى جانب ذلك، يحتاج إلى ما ينمي قدراتِه الذهنية، ويربِّيه تربية جمالية، من شأنها أن تسير به لأن يكون الوريثَ المنتظر لاستكمال ما بدأه الأوَّلون، ومن ضمن ما يساهم في تحقيق هذا ما يسمى بأدب الأطفال، هذا الميدان الرحب الذي يختزل في داخله جملة القيم والمبادئ، التي كثيرً ا ما بحث عنها الدارسون والباحثون، قصد اكتشاف عالم الطفل وأسرار هذا العالم وخباياه؛ حتى يتسنَّى

لهم وضع الأسس المشار إليها سابقًا [5] لعل أهم الشروط الضرورية الواجب توفرها في القصيدة أو النشيد الموجه للطفل لتحقيق الهدف المنشود حسب الشاعر سليمان العيسى الذي يلخصها في النقاط التالية:[6]

1 اللفظة الرشيقة الموحية الخفيفة الظل، البعيدة الهدف، التي تلقي وراءها ظلالاً وألواناً وتترك أثراً في النفس.

2 . الصورة الشعرية التي تبقى مع الطفل، مرة يلتقطها من واقع الأطفال وحياتهم ومرة يستمدها من أحلامهم وأمانيهم البعيدة.

3 الفكرة النبيلة الخيرة التي يحملها الصغير زاداً في طريقه وكنزاً يشع ويضيء.

4 . الوزن الموسيقي الخفيف الرشيق الذي يتجاوز ثلاث كلمات أو أربعاً في كل بيت من أبيات النشيد.

وانطلاقاً من هذه الشروط فعلى الشاعر أو الأديب أن يتخذ أسلوباً معيناً لتقديم أدبه للطفل، ذلك لأن المعجم اللغوي للطفل ينظر إلى مراحل نموه وتعليمه ودرجة إدراكه ومحيط تخيله ودائرة معرفته.

الكتابة الشعرية للطفل في مرحلة ما قبل الاستقلال:

نشأ أدب الأطفال في الجزائر في ظل المدارس التعليمية الحرة و تحت سيطرة الاستعمار الفرنسي على يد المعلمين الدين تخرج جلهم من جامع الزيتونة بتونس بعد الحرب العالمية الثانية وحملوا معهم كتبا وافدة من المشرق العربي " فإن الجزائر عرفت في الثلاثينيات و الأربعينيات نهضة مزدهرة في فتح هده المدارس ، و التفاتا قوميا حولها، و إقبالا من الناشئة عليها، و لعل العنصر الجديد الذي طرأ على المدرسة في هذه الفترة هو بعدها القومي والسياسي فاكتست المساجد و المدارس القرآنية هي الأخرى صبغة الرسالة الوطنية إلى جانب الرسالة الدينية و التربوية ، ولعل أ برز ما تمخضت عنه الحرب بالنسبة للجزائريين دوي الاتجاه

العربي الإسلامي و تلك النهضة الفكرية،والاجتماعية والوطنية التي بدأت مع بداية الحركة الإصلاحية في الجزائر ،و يشير البشير الإبرا هيمي إلى أن هؤلاء المعلمين حملوا من مصر و من تونس إلى الجزائر قبسا خافتا من الأدب العربي، كان كافيا في تحريك القرائح والأذهان ...(7) ما يلاحظ على أدب الطفل في الجزائر في بداية نشأته أنه لم يظهر كلون أدبي مستقل خلال الفترة الاستعمارية, و رغم ذلك فإن المحاولات التي وجدت تحمل قيما دينية و وطنية وتربوية كما جاء في أول ديوان محمد العابد الجيلالي" الأناشيد المدرسية لأبناء وبنات المدارس الابتدائية,"1939 ، في حين أن الكتابات التي سبقته لم تكن في ديوان خاص وإنما نعثر عليها مع القصائد الموجهة للكبار ؛في تلك الفترة نظم الشاعر" محمد العيد آل خليفة "مجموعة من القصائد و الأناشيد لأطفال المدارس، وفتيان الكشافة الإسلامية محاولا من خلالها ترسيخ القيم الدينية والوطنية في الجيل الجديد تتضمن قيما تربوية مختلفة .

القيم الدينية و التربوية:

إن المتصفح لديوان محمد العيد يلحظ أن هناك الكثير من القصائد (مايزيد عن 20 قصيدة) تتمحور حول الشباب والطفولة، وهذه الالتفاتة من الشاعر تعد لافتة للنظر، وهي ذات دلالة بالغة الأهمية في شعره وفي شخصيته، فانطلاقاً من كون الشاعر ذا نزعة دينية فقد غلب على روحه النهج الإصلاحي بحكم ظروف معينة معروفة، فكان بحق صاحب رسالة إصلاحية وتربوية.ومن بين هذه القصائد أنشودة" الوليد "بمناسبة المولد النبوي الشريف وقد طبعت في كتب صغيرة سنة 1938 م ووزعت على المدارس الجزائرية، يدعو الشاعر من خلالها إلى حب الرسول صلى الله عليه وسلم وإتباع سنته وهي قصيدة تعطينا صورة للملامح التي يلتمسها الشاعر في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم في وقت عصيب من السيطرة والاضطهاد، تلك الملامح التي تصنع الشخصية التاريخية في إطار البطولة فالرسول صلى الله عليهم وسلم قائد حرب، وبطل فتوحات يقول فيها الشاعر: (8)

بمحمد أتعلق وبخلقه أتخلق
وعلى النبيين جميعهم في حبه أتفوق
نفسي الفتية دائما من حبه تتحرق
وجوانحي مهتاجة ومدامعي تتحرق

من خلال هذه القصيدة و غيرها نلمس محاولة ا لشاعر غرس القيم الدينية في نفسية الطفل و التأكيد على فكرة حب الرسول صلى الله عليه وسلم وترسيخها في وجدانه.

ـالقيم الوطنية والقومية :

كما اتخذ محمد العيد آل خليفة من قصائده وسيلة لشحن الأطفال بحب الوطن والدفاع عنه ومثال ذلك قصيدة" رجاء "التي جاءت في شكل حوار بينه وبين أبنائه، فيقول:**(9)**

سؤال :بني أرجو من المولى لكم سلفا مستقبلا زاهرا بالسعد مقرونا
جواب :نكون جندا بإذن الله منتظما في سلك جندية الإسلام ميمونا
نحمي البلاد و ننفي كل غائلة عنها و ندفع عنها العار و الهونا

الملاحظ أن"**ديوان "**محمد العيد آل خليفة يضم مجموعة أخرى من القصائد الشعرية للأطفال التي تزخر بالقيم الوطنية كذلك منها قوله:

قم على صوت بلاد هتك العادي حماها سدد الدهر إليها كل سهم فرماها**(10)**

إن القيم الوطنية والقومية وما يتصل بها من مفاهيم كحب الوطن والتغني به والدفاع عنه، والتمسك باللغة العربية، والدعوة إلى النضال والثورة، والتمسك بالخط العربي الذي رسمته الثورة، وأغلب قصائد وأناشيد السلسلة تدور في هذا المجال.ورد في ديوان "العيديات المجهولة" أنّ تلاميذ مدرسة الشبيبة الإسلامية قد أنشدوا في الحفلة الشتوية للمدرسة سنة1933ما هو من نظم الشاعر قوله:

"يا بلادي يا بلادي أنا لا أهوى سواك قد سلا الدّنيا فؤادي وتفانى في هواك

كلّ شيء فيك ينموحبّه مثل النّبات يا ترى يأتيك يوم تزدهي فيه الحياة[11]

تحت رايات المدارس الحرة انبثقت الفرق الكشفية من أبنائها ونشطت المنظمات الكشفية فعملت جنبا إلى جنب مع المدارس في زرع بذور التربية الخلقية والاجتماعية والوطنية والدينية " ليجد الشعر فيه منطلقا جديدا و خاصة في الأناشيد الوطنية الّتي تكون أقدر من القصيدة على تفجير المشاعر، والأحاسيس الّتي يستسرها الوطن، و إذا كان التنظيم الكشفي صورة مصغرة للتنظيم الثوري أو هو الخطوة الأولى في طريقه فإنّ التّفعيلات المقتضبة، والألحان الحماسية التي تحدو هذا التنظيم لن تكون إلاّ انعكاسا للذبذبات الوطنية في الحنايا...أشبه بالشعارات والهتافات، يزيدها احتشاد الجمهور عنفا وصلابة، تكون الأناشيد الوطنية أقرب صورة إلى الواقع الوطني الكامن في النفوس، وهكذا راحت تتصاعد وتيرة الأناشيد الكشفية من مناسبة لأخرى و من مدرسة إلى مدرسة وتنشر في المجلات الوطنية خاصة منها مجلة الشهاب فقد نشرت للشاعر أناشيد عديدة منها: نشيد كشافة الرجاء سنة،1939 ، [12]و نشيد كشافة الإقبال [13]1937ونشيد كشافة الصباح سنة [14] 1937 و نشيد الاخوان سنة 1937و نشيد نساء الجزائر [15]غيرها ...

جدير بالملاحظة أن محمد العيد آل خليفة نظم للفرق الكشفية أناشيد عديدة و من خلالها يتأكد لنا مدى اهتمام الشعراء الجزائريين فترة الاحتلال ترسيخ القيم بالتربوية و الدينية و الوطنية في نفوس الناشئة لتتغنى بها في المناسبات المختلفة،حيث ألفوا لها الأناشيد التي تتغنى بالوطن والوطنية و بالأمجاد وتشيد بالإسلام والعروبة، وتهيب إلى مستقبل أفضل.

في بداية الأربعينيات من القرن العشرين تدعم مشوار أدب الأطفال في الجزائر بمعلم وشاعر جديد هو"محمد الصالح رمضان الذي وجد نفسه أمام فراغ لهذا النوع من النصوص الخاصة بالأطفال فشرع في الكتابة محفوظات وقصائد للأطفال نشرها في ديوان تحت عنوان "ألحان الفتوة" [16]عندما كان معلما ؛ ولابدّ من التوضيح في هذا المقام بأنّ" شعر الشباب "لازم

أدب الأطفال في الجزائر منذ ظهوره إلى الوجود و نرى السبب في ذلك منطقي لأنّ الشعراء كانوا يرون وهم يكتبون للأطفال شباب المستقبل الواعد بالاستقلال ،ولم تكن هذه الأناشيد الّتي كان يكتبها الشّاعر لمجرد التسلية وحدها، بل كانت بالدّرجة الأولى لغرس مبادئ ثورية نضالية في الطفل الجزائري الشاب، وإعداده نفسيا لمواجهة المحتل ،وتربيته تربية قومية وإسلامية . هكذا انطلقت الأناشيد الوطنية في ظّل التنظيمات الكشفية، يتغنى فيها الشعراء بالإسلام والعروبة والأمجاد الوطنية، وضّمنوها العقائد السليمة والأفكار الصّحيحة والأخلاق الفاضلة، والمناهج التربويةاللاّئقة الصّائبة للتوجيه نحو الحرية والعدالة والأخّوة والإسلام .

أما الشاعر محمد الشبوكي الذي يحفظ عنه شباب الجزائر فقد كتب أروع أناشيده الوطنية دون أن يعرف مؤلفها, ويحتوي ديوانه على قصائد و أناشيد وطنية , منها التي رددها المجاهدون إبان الثورة التحريرية, تعتبر من أشهر ما كتب قصيدته : جزائرنا التي يقول فيها:

جزائرنا يا بلاد الجدود نهضنا نحطم عنك القيود
ففيك برغم العدا سنسود ونعصفُ بالظلم والظالمين
سلاماً سلاماً جبال البلاد فأنت القلاعُ لنا والعماْد
و فيك عقدنا لواء الجهاْد و منك زحفنا على الغاصبين(17)

لا يمكن أن نتكلم عن الأناشيد الوطنية التي برزت خلال الحقبة الاستعمارية دون ذكر شخصية مفدي زكريا شاعر الثورة الجزائرية, ومؤلف النشيد الوطني, وإلياذة الجزائر, مفدي زكريا ناضل في جمعية طلبة مسلمي شمال افريقيا, وواكب الثورة مناضلا وشاعرا, وسجن بسبب مواقفه النضالية والثقافية ومن الأناشيد التي طالما رددها أطفال وشباب الجزائر نشيد نحن طلاب الجزائر(18):

نحن طـلاب الجزائر نحن للمجد بنـاة
نحن أمـال الجـزائـر في الليالي الحالكات

كم غرقنا في دماها واحترقنا في حماها

...فخذوا الأرواح منا واجعلوها لبنات

واصنعوا منها الجزائر[19]...

هناك أسماء أخرى كثيرة برزت كالشاعر الشهيد الربيع بوشامة ، و عبد الكريم العقون و أبو القاسم خمار ،أحمد سحنون و غيرهم خلال هذه الفترة خير دليل على المواجهة ومجابهة المستعمر بكتاباتهم الوطنية و الثورية خاصة لشحن همم الشباب و تربيتهم بهذه القيم الوطنية الثورية تحضيرا لهم لمواجهة المستعمر في ظل المدارس الحرة التي انتشرت في مختلف أرجاء الوطن حيث نشطت قرائح المعلمين، فبادروا إلى إنشاد الشعر للتلاميذ في مختلف المناسبات و لعل أولى هذه المحاولات الجادة كانت للشاعر"محمد العيد آل خليفة، عند جّل الدّارسين لتاريخ أدب الأطفال في الجزائر الرائد الفعلي لأدب الأطفال في الجزائر ، إن ما كتبه محمد العيد آل خليفة من أناشيد موجهة للأطفال ركزت على البعد الديني و الاسلامي ، و الوطني خاصة ،كما ركزت على موضوع حب الوطن والهوية الوطنية في كثير من النماذج الشعرية التي عرضنا لها؛ لذا يعتبر محمد العيد آل خليفة من الرواد الأوائل الذين خاضوا غمار هذه التجربة الشعرية قبل الاستقلال لكتابة شعر خاص بالأطفال في الجزائر التي لم يكن لها هذا اللون من الشعر من قبل، فجاءت أشعاره مشحونة بالقيم الوطنية و الدينية لزرعها في نفوس الأطفال، والقيم التربوية التي تعمل على تأصيل الأخلاق الكريمة، وفيها الأشعار الترفيهية التي يمارس من خلالها الأطفال حقهم في اللهو والمرح.[20]

ـ الكتابة الشعرية للطفل في مرحلة ما بعد الاستقلال:

حصلت الجزائر على حريتها وخرجت منتصرة من ثورتها ضد الاستعمار الفرنسي ، وبدأت تستنهض همم الشباب والمجاهدين لخوض المعركة الكبرى ، وانطلقت الثورات الثلاث : الثقافية والزراعية، والصناعية وبدأت ترسم خططها للتغيير نحو الأفضل لتعويض سنوات الجهل والفقر

خلال الحقبة الاستعمارية.كان التركيز في هذا العقد من الستينيات في المجال الثقافي والأدبي على الكبار لأن معالم أدب الطفل في هذه الفترة لم تتضح معالمه بعد ،لأن الشعراء في هذه الفترة انشغلوا بذكريات أحداث الثورة والشهداء ،والفرحة بالاستقلال والإصلاحات الجارية في كل المجالات خلال عشرية الستينيات،و في 1972 أفردت مجلة "همزة وصل" بابا خاصا لأدب الأطفال، وعاد لها فضل الريادة في نشر قصائد خاصة بهم، وتنافس في ذلك الشعراء والهواة منهم في نشر أعمالهم، و إن لم تكن أحيانا تراعي المستوى إلاّ أنّها كانت مبادرة طيبة لوضع لبنات لإنجاز مشروع جديد للنص الشعري للأطفال في الجزائر بعد الاستقلال وقد تنوعت الموضوعات بل تجددت وتعدّد الشعراء أيضا ومع تأسيس قسم منشورات الأطفال بالمؤسسة الوطنية للكتاب الذي احتضن هذا القسم أعمال الشعراء المبدعين ونشر لهم دواوينهم ومجموعاتهم الشعرية الخاصة بالأطفال في بداية الثمانينيات فكانت الانطلاقة الجدّية،و تدعمت في العشرية الأخيرة بدور النشر الخاصة والّتي أخذت هي الأخرى على عاتقها نشر ثقافة الأطفال.

وقد برز الشاعر" محمد الأخضر السائحي بإصدار" ديوان الأطفال "سنة1983عن دار الكتب الجزائرية، وقد لقيت قصائده صداها في المدارس الابتدائية ، صدر له ديوان" أناشيدالنّصر " سنة 1983عن سلسلة شموع كما صدرت دواوين أخرى للأطفال وهي :ديوان" الفرحة الخضراء " لمصطفى محّمد الغماري" سنة1983 و"البرا عمالنّدية "ل" محّمد ناصر " سنة 1985م،والفصول "ل" بوزيد حرز الله "سنة 1986 م، و"نسمات "ل"يحي مسعودي "و غيرها ...وأخذت هذه الدواوين على عاتقها نشر المبادئ المثلى والقيم الاسلامية ، وتشجيع الطفل على العمل بها و احترامها.من جملة هذه القيم التي ركز عليها شعراء الاستقلال هي : قيم العروبة و الاسلام، و القيم الوطنية،و التربوية،و القيم الاجتماعية، و القيم الجمالية،

والانسانية و غيرها التي تزخر بها الكتابات الشعرية في ديوان الطفل الجزائري فترة ما بعد الاستقلال التي سنعرض بعض النماذج منها:

القيم الدينية:

لا شك أن الخطاب الشعري الموجه للأطفال لا يخلو من القيم والمثل العليا التي يدعو إليها ديننا الحنيف، وبما أن الشعر من أهم الوسائل التي يعتمدها الشاعر لتزويد الطفل بالقيم والأخلاق الإسلامية الحميدة، حيث يلجأ إلى" تبسيط المفاهيم الدينية وتقديمها في قالب شعري بسيط تتيح للطفل أن يتعرف على دينه و يفهم أركانه وفرائضه،وكانت المناسبات الدينية من الموضوعات التي تطرق إليها محمد الأخضر السائحي مثل المولد النبوي الشريف والعيد ومجيء شهر رمضان ..وقد نظم محمد الأخضر السائحي قصيدة" نشيد المولد "بمناسبة الاحتفال بعيد المولدالنبوي الشريف، وقد جاءت في ديوان" أناشيد وأغاني الأطفال "فقد اعتبر شاعرنا هذه المناسبة فرصة لتعديد مناقب الرسول-صلى الله عليه وسلم -وهو الأسوة الحسنة الذي يجب أن نقتدي بها، وهذا ما يجب على الشاعر أن يغرسه في نفس الطفل، فيقول(21)

هيا جميعا ننشد قد حل عيد المولد
عيد البشير المصطف ى عيد النبي محمد
هادي الأنام لمهتدي هيا جميعا ننشد

لم ينس الشاعر موضوع الصلاة، العبارة التي ترافق المسلم طول حياته، فيجب أن يربى عليها الطفل الصغير حتى ترسخ في سلوكه تتجاى هذه القيم و الصور في قول الشاعر(22)

حافظ على الصلاة في سائر الأوقات
فهي على الدوام قاعدة السلام
فرض على العباد في سائر البلاد

...تدعو إلى الفلاح تهدي إلى النجاح

من القيم الدينية التي تعكسها النصوص الشعرية الموجهة للأطفال في المناسبات ا لدينية التي نظمها محمد الأخضر السائحي قصيدة مجيء رمضان والتغني به ففي قصيدة" رمضان " يقول(23)

مرحبا يا رمضان مرحبا طول السنين

كلما جئت استبان فيك أمر المسلمين

أنت رمز الاتحاد في لياليك المنيرة

جئت تدعو للسلام أنت شهر البركات

قيم العروبة و الاسلام:

إن الشاعر **مصطفى الغماري** يفتخر بانتمائه العربي الإسلامي قائلا:

عربية كالشمس نحمي عـــــزها ووفاءها

لعروبة الإسلام ننتسـ ـب لا عروبة من كفر

... إن تسألوا عن أصلنا فأصلنا دين أغر(24).

و القيم نفسها أي قيم العروبة و الاسلام نجدها عند الشاعر **الأخضر السائحي** في قوله:(25)

نحن شعب عربّي منذ كانا ليس يرضى سوى الضاد لسانا

كما حرص هؤلاء الشعراء على غرس لغة الضاد في نفوس الأطفال كقول **الغماري**: (26)

أهواك يا خير اللغا ت وأعشق الضاد المبين

أهواك لا التغريب يمنعني ولا الحرف الهجـــين

قيم الوطن و الوطنية :

لقد شغل الوطن الشعراء الجزائريين فأخذ أكبر قدر من كتاباتهم واستحوذ على النسبة الأكبر من أشعارهم، كل يحاول تعميق فكرة الانتماء إليه عند الطفل خاصة، وغرس حب الوطن في

نفوسهم،ومحمد الأخضر السائحي مثل هؤلاء الشعراء،و تغنى بالوطن، وهو الموضوع المسيطر على ديوان" أناشيد النصر"، الهدف من ذلك غرس حب الوطن وتعميق الشعور بالانتماء إليه والدفاع عنه والعمل على تطويره.فتغنى السائحي بالعلم الوطني على اعتباره رمزا من رموزه قائلا:**(27)**

علمي يا رمز مجدي وانتصاري يا علم ابق كالنجم رفيعا خافقا فوق القمم

...قد رفعناك فرفرف عاليا طول المدى إننا نحن الحماة إننا نحن الفدى

أما مكانة الوطن عند الشعراء الجزائريين فتبقى فوق كل اعتبار فهو رمز التضحية والفداء ذلك ما تصوره أشعار الأخضر السائحي في قوله : **(28)**

يا بلادي يا بلادي بدمي أفدي ثراها

من حروف الحادثات أنا لا أعني سواها

أما سليمان جوادي فيغني ويعزف في حبه للوطن قائلا: **(29)**

آمنت بحبك يا وطني آمنت بحبك آمنت

لو خان الناس جميعهم قسماً بالثورة ما خنت

القيم التربوية و العلمية :

العلم والمدرسة:بين المدرسة والطفل علاقة وثيقة، ففيها يقضي فترة مهمة وطويلة من حياته حيث يكبر وينمو، ويكتسب المعارف والعلوم، ولأن جل الشعراء عرفوا أهمية العلم في مسار تطور الأمم وارتقائها، أعطوا اهتماما كبيرا لتلك الأناشيد التي تقدم للطفل وهو في المدرسة ،وقد اهتم محمد الأخضر السائحي بهذه الموضوعات ففي ديوانه للأطفال،موضوعات مدرسية كثيرة منها" :المدرسة" "اللعب في الساحة"،" محفظتي"،" القلم"،الكتاب"،" الجائزة"،" وداع المدرسة :ففي أنشودة" المدرسة "يتغنى محمد الأخضر السائحي بها فيقول على لسان طفل:**(30)**

مدرستي الحبيبة من منزلي قريبة أبوابها مرتفعة أقسامها متسعة
أحببتها من قلبي لأن فيها صحبي فارقتها زمانا ثم رجعت الآن
وعندها ألاقي- يا فرحتي -رفاقي

لا شك أن القيم التربوية و العلمية تبقى وثيقة الصلة بحياة الطفل، كما هو الشأن مع القيم السابقة منها قول **سليمان جوادي** معتزا بالعلم مبرزاً الدور الخطير الذي يلعبه المعلم في المجتمع.**(31)**

أنا ذخر البسيطة دون فخر أنا تاج الأمانة والأماني
... أنا شهم رفعت السيف ضد التخلف والجهالة والهوان

القيم الاجتماعية: يأتي العيد فيستقبله الأطفال بفرحة وسرور فيصف السائحي فرحة الأطفال من خلال أنشودة" العيد **(32)"**

يا فرحتي بالعيد ويومه السعيد
يجيء بالأفراح في الليل والصباح

من متطلبات العيد عند الأطفال استقباله باللباس الجديد لهذا نظم السائحي قصيدة"البذلة " **(33)** يقول فيها :

أبي اشترى لي بدله فيا لها من حله
قميصها جميل ليس لها مثيل
أكمامها طويلة ياقتها جميلة

القيم الأسرية: الأم

الأسرة هي الخلية الأولى التي يترعرع فيها الطفل داخلها، لهذا كانت لها تأثير كبير على شخصيته، انطلاقا من الأسرة يبدأ أول احتكاك بالعالم الخارجي، فأكثر ما يرتبط به الطفل

هو الأسرة وأفرادها التي تربطه بهم علاقة حب وحنان واحترام، لذلك اهتم الشعراء بهذا الموضوع، وهو الحال بالنسبة للأخضر السائحي الذي اتخذ من عيد الأم مناسبة للإشادة بالدور المهم الذي تقوم به من تربية الأبناء ،فصور تلك العواطف الجياشة التي تغمرهم بها وذلك الحنان و العطاء الفياض على لسان الطفل قائلا : **(34)**

عيد أمي خير عيد خير يوم في حياتي
...أنت يا أمي شفائي من سقامي ونجاتي
كم تألمت لأجلي في الليالي الحالكات
وتلقيت دموعي وتلقيت شكـــــاتي
...لك حبي وولائي ودعائي في صلاتي
واهنئي بالعيد أمي مع كل الأمهـــات

يلاحظ أن السائحي قد خص الأم دون غيرها من أفراد الأسرة، باهتمام كبير، فالأم هي سر وجودنا في هذه الحياة، تعيش من أجل تربيتنا ورعايتنا، لذلك وجب أن يعرف الطفل هذا ويقدر التعب والعذاب الذي تعيشه الأم من أجله.

القيم الجمالية :الطبيعة

إن من أكثر المحبين للطبيعة هم الأطفال، فبين الطفل و الطبيعة صلة وثيقة وعميقة،فالطفل يميل إلى الطبيعة بالفطرة ،يعشقون مناظرها الجميلة الرائعة وألوان أزهارها الفاتنة إنها الفضاء الواسع الذي يجدون فيها الحرية في ممارسة ألعابهم ، و في حركاتهم المرحة فهي عالمهم الساحر الجميل، لذا اهتم الشعراء بالطبيعة فنظموا فيها قصائد كثيرة متنوعة قدموها للأطفال في لوحات جميلة تنمي الاحساس بالجمال فيهم ،و إذا كانت الطبيعة جميلة ففي الواحة يتجسد هذا الجمال حيث النسيم العليل،و الظل الظليل، فقد خص السائحي الصحراء الواسعة بأنشودة تغنى فيها بالواحة و جمالها الساحر قائلا: **(35)**

كالجنة الفيحاء في وسط الصحراء
نسيمها عليل و ظلها ظليـــل
عرجونها الجميل عن جذعها يميـــل
من تحتها السواقي بمائها الرقـــــــراق

كما لم ينس السائحي الفصول و تغنى بها مبرزا خصائص كل فصل، فيرسم للأطفال جمال الطبيعة التي يكسوها الثلج و الصغار يجرون في أحضانها قائلا في أنشودة الشتاء: **(36)**

جاء البرد هيا نعدو
إجر، إجر مثل النهـــر
فوق الثلج كالإسفنج
بين الشجر تحت المطر

لم يحصر السائحي موضوع قصائده في الطبيعة فقط ، بل تعداها إلى عالم الحيوانات باعتباره الجزء المتحرك من الطبيعة، حيث راح يصف جمالها الفتان في **أنشودة" الغزال** "فيقول: **(37)**

أقبلت تعدو خفيفة حلوة الشكل لطيفة
كخيال أو كطيف ليتها كانت أليفة
قد حباها الله حسنا يخشع القلب حياله
أي جيد أي عين أي لون يا غزالـــه؟

التسلية و الترفيه:

أحلى ما في حياة الأطفال هو اللعب،فهم يحتاجون إليها كما يحتاجون إلى الغذاء، فمن طباع الطفل حبه للعب و الحركة الدائمة و المرح، فمن خلالها يستطيع الطفل التعبير عن أحلامه و رغباته كما يساعده على تنشيط و استخدام حواسه و خياله و التخلص من القلق و

الانفعال؛و قد اهتم السائحي بالموضوع و نظم فيه قصائد عديدة، يدعو الأطفال فيها إلى اللعب بأسلوب جميل و مرح فيقول **(38)**:

هيا نلعب قبل المغرب أمسك كفي اجر خلفي

أبعد عني أقرب مني

لقد وعى السائحي أهمية اللعب و الترويح و التسلية في حياة الطفل، و دوره في بناء شخصية بناءا سليما ليكون فردا سويا يساعد على تطوير المجتمع، لذلك طرح هذا الموضوع الذي لا يخلو من القيم التربوية التي يهدف إليها شعر الأطفال دائما.

خاتمة :

ختاما لهذه الدراسة نود تسجيل بعض الملاحظات نلخصنا فيما يلي:

ـ اتضح لنا مما تقدم أن الكتابة للطفل تعد أصعب أنواع الكتابة لما تقتضيه من معرفة دقيقة لعملية التبليغ، فرغم الاختلاف البين لما يقدّم للطفل من غذاء ذهني وثقافي إلا أن المتفق عليه هو أن يكون ذلك الغذاء ملائماً لنمو مداركه.

ـ لقد حاول الشعراء في الجزائر و من خلال كتاباتهم الشعرية الموجهة للأطفال الوصول إلى ذهن الطفل ووجدانه؛ والملاحظ أن معظم الأشعار قد ارتبطت بمفاهيم وطنية أسلامية وقومية، وقد حاولت جعل الطفل يعايش مختلف التجارب والأحداث ويتفاعل معها.

ـ لقد برز شعراء في الكتابة للأطفال قبل و بعد الاستقلال منهانذكر في هذاالمجال خاصة: محمد العيد في المرحلة الأولى قبل الاستقلال ،ومحمد الأخضر السائحي الذي برز بل و تخصص في كتابة النص الشعري للطفل في مرحلة ما بعد الاستقلال ، إذ خصص لذلك دواوين شعرية تطرق من خلالها إلى معظم القيم و الموضوعات القريبة من عالم الطفولة التي استمدها من الواقع و المحيط ،مع المحافظة على القيم الدينية و الهوية الوطنية التي حاول تعليمها للأطفال و تعميق إحساسهم بها من خلال عناصر فنية كثيرة تحققت في النص

الشعري الموجه للطفل منها: خفة الموسيقى و الايقاع ،و رشاقة العبارة والأسلوب و اعتماده على الأسلوب السهل البسيط، واستعماله للألفاظ الواضحة و المألوفة للأطفال المستمدة من محيطهم و واقعهم .

ـ الميل الواضح إلى الإيقاعات الموسيقية الخفيفة، المجزوءة و المشطورة،التي تنضوي تحت بحور عروضية مألوفة لدى الأطفال كالرجز و الرمل...

ـ من خلال ما تقدم من نماذج شعرية الموجهة للأطفال لاحظنا أن الشعراء الجزائريين حاولوا بث الكثير من القيم في نفوس الناشئة، لكن المشكلة ليست في نوعية القيم ، بل في طريقة عرضها وأسلوب تناولها وتقديمها للصغار في قالب فني وشيق و مميز؛ بحيث أن تلك القيم التي يسعى الشعراء لإيصالها للطفل تكون أحياناً بصورة مباشرة و غير مباشرة كالاختفاء وراء وسيط كأحد الأطفال، أو الطبيعة مثلاً لنقل ما يريد الشاعر الحديث عنه، وهذه العملية لا شك تساعد الطفل على الفهم والتقبل أكثر، وكذلك تكرار ألفاظ وتعبيرات ذات إيقاع خاص من شأنها أن تسهم في إثارة الأطفال وشدهم إلى تلك القيم التي يريد الشاعر إيصالها.

-إن شعر الأطفال في الجزائر قد حاول الموازنة بين متطلبات هذا الفن الجميل و بين الأهداف التعليمية التربوية و التنشئة الثقافية من خلال النماذج المعروضة قبل و بعد الاستقلال؛مع تأكيدها على القيم و المرجعيات الدينية و التربوية و الاجتماعية و الجمالية.

الاحالات و الهوامش:

(1)ـ سمير عبد الوهاب-أدب الأطفال-قراءات نظرية ونماذج تطبيقية ، -دار المسيرة) -د ت – ص ـ 112 ـ114.

(2)ـ ينظر : بشير خلف-الكتابة للطفل بين العلم والفن-دراسة دار النشر سحب الطباعة الشعبية للجيش الجزائر 2007 ص 114 .

(3)ـ هادي نعمان الهيتي ، أدب الأطفال (فلسفته.فنونه.وسائطه) ، الجمهورية العراقية منشورات وزارة الاعلام،1977 ، ص 207.

(4)ـ هادي نعمان الهيتي ، أدب الأطفال (فلسفته.فنونه.وسائطه) ، الجمهورية العراقية منشورات وزارة الاعلام،1977 ، ص 207. 208 .

(5)ـ ينظر : ينظر : بشير خلف-الكتابة للطفل بين العلم والفن-دراسة دار النشر سحب الطباعة الشعبية للجيش الجزائر2007 ، ص 116 و ما بعدها .

(6)ـ ينظر : مع سليمان العيسى، مجموعة من الكتاب، دار طلاس، دمشق، ط1، 1984، ص 184 ـ 185.

(7)ينظر : محمد ناصر-الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية-دار الغرب الإسلامي ط-1 بيروت، 1985، ص30 .